مصادر السيرة النبوية:

أ- القرآن الكريم:

نجد في القرآن الكثير من عناصر السيرة النبوية، حيث ذكر القرآن الكريم حال النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين، ومكائدهم ضدّه ، كما نجد في القرآن الكريم حديثا عن أهم المعارك التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم وجنده بعد هجرته ، مثل معكرة بدر وأحد و حنين والأحزاب ، وصلح الحديبية ، وفتح مكة،

كما نجد أيضا ذكرا لمعجزاته صلى الله عليه وسلم ، كمعجزة الإسراء والمعراج .

والقرآن الكريم لم يتعرّض لوقائع السيرة بالتفصيل ، فلا يذكر مثلا عدد الجند أو عدد القتلى وغير ذلك. لذلك فنصوص القرآن وحدها لا تكفي لبناء المشاهد الكاملة المتعلقة للسيرة النبوية.

نسب النبي صلى الله عليه وسلم ومولده ونشأته:

أ- نسب النبي صلى الله عليه وسلم:

نسب النبي صلى الله عليه وسلم الزكي متفق عليه بين علماء الأنساب إلى عدنان، قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: أجمع العلماء على أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنما انتسب إلى عدنان ولم يجاوزه.

وأما من فوق عدنان فهم مختلف فيهم، وإن كان النسابون اتفقوا على أن عدنان ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام> فهو جد النبي الأعلى، وقد انتقلت إليه منه بعض الصفات الجسمانية، ففي الحديث الصحيح لما ذكر إبراهيم قال: «وإنه لأشبه الناس بصاحبكم».

فالصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم هو: "**محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.**"

أحاديث في شرف وطهارة النسب:

جاء في صحيح مسلم أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» . ورواه الترمذي في سننه بزيادة في أوله: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل" ... والمراد بالاصطفاء تخيّر الفروع الزكية من الأصول الطاهرة، وينضم إلى ذلك بالنسبة إلى إسماعيل والنبي اصطفاء النبوة والرسالة.

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه . "

وروى البيهقي أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خطب فقال:«...وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي، فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي، وأمي، فأنا خيركم نفسا، وخيركم أبا" .

مناقب أجداد النبي صلى الله عليه وسلم:

النبي صلى الله عليه وسلم من سلالة آباء كرام، وكلهم سادة وقادة، ولهم مكانٌة ومقامٌ جليل بين العرب ، وقد اشتهروا بالحكمة والشجاعة والجود الكرم، وبيان بعض من ذلك في ما يلي:

معد: كان صاحب حروبٍ وغاراتٍ على بني إسماعيل، ولم يحارب أحدًا إلا رجع بالنصر، وهو أبو العرب.

نزار: كان "نزار" أجمل أهل زمانه وأرجحهم عقلا.

مضر: كان جميلًا كذلك، وكان محبوبا من كل الناس ، وكان أول من حدا الإبل (ساقها أمامه)، وكان من أحسن الناس صوتا، ومن حكمه المأثورة: «خير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهها، واصرفوها عن هواها فيما أفسدها».

إلياس: كان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه، ومن حكمه: "من يزرع خيرًا يحصد غبطة، ومن يزرع شرًا يحصد ندامة."

فهر: اسمه قريش وإليه يرجع أصل قريش، لذلك ما كان فوقه لا يقال له قرشي، بل يقال له كناني، ، وكان كريمًا بماله، وهو الجد السادس لأبي عبيدة بن الجراح.

كعب : هو الجد الثامن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يجمع قومه يوم العَروبة، أي يوم الرحمة وهو يوم الجمعة، فيعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وينبئهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه.

مُرَّة: وهو الجد السادس أيضًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفيه يجتمع أيضًا نسب الإمام مالك بنسب رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

كلاب: وهو الجد الثالث لآمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم، فهو ملتقى نسب أبيه بنسب أمه. اسمه حكيم وقيل اسمه عروة، ولقّب بكلاب لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب،. وقيل: إنه أول من سمى الأشهر العربية المستعملة إلى الآن.

قُصيٌّ: ولد حوالي سنة 400م، اسمه زيد، ويقال له مُجمِّع، فبه جمَّع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرقها ، فقسَّم منازلهم فسمي مجمّع، وهذا عملٌ جليلٌ وفضلٌ عظيمٌ لا يتم إلا على يد ذوي النفوس الأبية والهمم العالية.

وقصي هو أول من جدّد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم، وقيل إنما لُقِّب قُصيًّا لأنه أبعد عن أهله ووطنه مع أمه بعد وفاة أبيه.

وكان في الجاهلية صاحب حجابة البيت وسقاية الحاج وإطعامه المسمى بالرفادة، والندوة، وهي الشورى، لا يتم أمرٌ إلا في بيته، ولا يُعقد عقد نكاح إلا في داره ولا يعقد لواء حرب إلا فيها، فكان بيته عبارة عن نادي للعرب، تعالج فيه جميع المشكلات .ولما حضرته الوفاة نهى بنيه عن الخمر، ولا بد أنه أدرك مضرتها فنهى أحب الناس إليه عن احتسائها، وتوفي سنة 480م، فعاش 80 عاما.

ومن أقواله: "من أكرم لئيمًا شاركه في لؤمه، ومن استحسن قبيحًا ترك إلى قبحه، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان، والحسود هو العدو الخفي".

عبد مناف: وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان، والجد التاسع للإمام الشافعي، اسمه المغيرة، وكان يقال له "قمر البطحاء" لحسنه وجماله، وكانت قريش تسميه الفيّاض لكرمه.

هاشم: واسمه عمرو، وهو أخو عبد شمس، وقد ساد قومه بعد أبيه عبد مناف، وقد وقعت مجاعةٌ شديدةٌ في قريش بسبب جدبٍ شديدٍ يحصل لهم، فخرج هاشم إلى الشام فاشترى دقيقًا وكعكًا وقدم به مكة في الموسم، فهشم الخبز والكعك، ونحر جزرًا (إبلا)، وجعل ذلك ثريدًا واطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما، وكان يقال له سيد البطحاء، ولم تزل مائدته منصوبة في السراء والضراء،

وهو أول من سنَّ رحلتين لقريش: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام .ومات هاشم بغزة من أرض الشام تاجرًا سنة 510م.

عبد المطلب: وأمّه سلمى بنت زيد النجارية، واسم عبد المطلب شيبة لأنه وُلد وله شيبة، وإنما قيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب أردفه، وكان بهيئة رثة لفقره فقيل له: من هذا؟ فقال: عبدي، حياءًا ممن سأله.

وكان عبد المطلب مجاب الدعوة، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، ولذا يقال له: مطعم الطير، ويقال له: الفيّاض، وكان منقذ قريش في النوائب، وسيّدهم ، وهو أول من تحنَّث (تعبد) بحراء، وكان إذا دخل شهر رمضان، صعد حراء وأطعم المساكين. وعاش مائة وعشرين سنة ، وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، ورفض عبد المطلب في نهاية عمره عبادة الأصنام ووحد الله وهو الذي كشف عن زمزم بئر إسماعيل، وحفرها من جديد، وأقام سقايتها للحجاج، فكانت له فخرًا وعزًا على قريش، وعلى سائر العرب. وكانت كنية عبد المطلب "أبا الحارث"، وكني بذلك لأن الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث.

ب: مولد النبي صلى الله عليه ونشأته:

ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في مكة، يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في عام الفيل. وسمي بعام الفيل لوقوع حادثة الفيل المشهورة فيه، والتي قاد فيها أبرهة الحبشي بفيله العظيم جيشه الكبير لهدم الكعبة المشرفة (بيت الله الحرام)؛ فكان من أمرهم وما نزل بهم من العذاب ما قصَّه الله تعالى في كتابه العزيز، فقال: (أَلَم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصحَٰبِ ٱلفِيلِ ، أَلَم يَجعَل كَيدَهُم فِي تَضلِيل ، وَأَرسَلَ عَلَيهِم طَيرًا أَبَابِيلَ ، تَرمِيهِم بِحِجَارَة مِّن سِجِّيل ، فَجَعَلَهُم كَعَصف مَّأكُولِ) (الفيل: 5-1).

ويوافق يوم مولده صلى الله عليه وسلم العشرين أو الثاني وعشرين من شهر أبريل سنة 571م. وعن يوم ميلاده يقول صلى الله عليه وسلم : «أنا دَعوةُ إبراهيمَ، وبشرىَ عيسَى، رأت أمِّي حين حملت بي كأن نورًا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام» رواه أحمد».

ج- تسميته صلى الله عليه وسلم:

عندما ولد صلى الله عليه وسلم أرسلت أمه آمنة إلى جده عبد المطلب لتخبره الخبر و تبشّره بحفيده .و لما أن جاء البشير إلى جده عبد المطلب، وأخبره بهذا النبأ العظيم فرح

عبد المطلب بهذه البشرى وأقبل مسرورًا حاملا حفيده بين يديه وذهب به إلى الكعبة ليباركه، ثم دخل به الكعبة ودعا الله وشكر له واختار له جده اسم محمد، وهو اسم لم يكن شائعًا عند العرب قبل ذلك، ولما سئل عن سبب تلك التسمية غير المعهودة في الناس أي مُحَمَّدً. قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَحْمَدَهُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ وَخَلْقُهُ فِي الْأَرْض.

ووافق ذلك ما كان منه صلى الله عليه وسلم من شمائل خَلقية وخُلقية محمودة بين الناس، وهو محمود في الدنيا بالرحمة والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة.

ب- رضاع النبي صلى الله عليه وسلم :

وصفت حليمة السعدية قصة رضاع محمد صلى الله عليه وسلم أفضل وصف ،حيث قالت: "خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرضعاء بمكة في سنة شديدة الجدب، لم تُبق شيئًا، ومعي زوجي، ومعنا ناقة مسنَّة لنا، والله ما يسيل علينا بقطرة من لبن. ومعي صبي لي لا ننام ليلتنا من بكائه، ما في ثديي ما يغنيه.

فلما قدمنا مكة، لم تبْق منا امرأة إلا عرض عليها رسول صلى الله عليه وسلم فتأباه، وإنما كنا نرجو كرامة الرّضاعة من والد الولد ،وكان يتيمًا، ونقول: يتيم ما عسى أن تصنع أمه به؟! حتى لم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيًّا.

فكرهت أن أرجع ولم أجد شيئًا وقد أخذ صواحبي. فقلت لزوجي: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم، فلآخذنّه، فأخذته ورجعت إلى رحلي. فو الله ما هو إلا أن جعلته في حجري حتى أقبل عليه ثديي بما شاء من اللبن فشرب حتى روي، وشرب أخوه ،يعني ابنها، حتى روي، وقام زوجي إلى شارفنا(الشارف: الناقة المسنة الهرمة) من الليل، فإذا بها حافل ، أي: ضرعها مملوء باللبن، فحلبها من اللبن ما شئنا، وشرب حتى روي وشربت حتى رويت، وبتنا ليلتنا شباعًا رواء وقد نام صبياننا، فقال زوجي: والله يا حليمة ما أراك إلا أصبت نسمة مباركة.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يشب في اليوم شباب الصبي في شهر، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة، فبلغ سنة وهو غلام جفر[ممتلئ قوي] فقدمنا على أمه، فقلت لها،

وقال لها أبوه: ردي علينا ابني فلنرجع به، فإنا نخشى عليه وباء مكة. ونحن أضن شيء به مما رأينا من بركته. قالت: فلم نزل بها حتى قالت: ارجعا به، فرجعنا به.«

فأم الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة هي حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، واسم زوجها أبو كبشة الحارث بن عبد العزى، وإخوته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة هم : عبد الله وأنيسة وحذافة وهي الشيماء، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا- حادثة شق الصدر:

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه الرابع، وكان لا يزال في قبيلة بني سعد، وقعت له حادثة شق الصدر. فعن أنس بن مالك قال « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَتَاهُ جِبْرِيلُ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ (أي: متغير اللون) ،قال أنسٌ: « وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ ».(رواه مسلم). وما أن رأى ذلك أبواه من الرضاع حتى قال أبوه: يا حليمة ما أرى هذا الغلام إلا قد أُصِيب، فانطلقي فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر ما به ما نتخوف.

قالت حليمة: فرجعنا به. فقالت أمه: ما يردّكما به؟ فقد كنتما حريصين عليه. فأخبراها القصة. فطمأنتهما آمنة قائلة: إن لابني هذا لشأنًا، فلم أكن أحسّ أثناء حمله بشيء مما تجد الحوامل، وقد رأيت وأنا أحمله كأن نورًا خرج مني فأضاء لي قصور الشام. ثم طلبت إليها أن تعود به إلى البادية مرة ثانية. فعادت به حليمة، وظل معها حتى قارب الخامسة من عمره.

ثالثا- وفاة أم النبي صلى الله عليه وسلم:

لم تفارق حادثة شق صدره ذهن حليمة ،حيث ما لبثت أن ردته إلى أمه خوفا عليه، فبقي عند أمّه إلى أن بلغ ست سنين.ولما بَلَغَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سِتَّ سنينَ، رأت آمنة وفاءً لذكرى زوجها أن تزور قبره بيثرب، فخرجَتْ به صلى الله عليه وسلم إلى أخوالِه بني عَديّ بن النَّجَّار تَزورُهم به، ومعه حاضِنَتُه أمُّ أيمنَ رَضي اللهُ عنها، وهم على بَعيرَين، فنَزَلَت به أُمُّه في دارِ النابغةِ عند قبرِ أبيه عبدِ الله بن عبدِ المُطَّلِب، فأقامَت به عند أخوالِه شهرًا، ثم أقفلت راجعة به إلى مكة. فلمَّا كانوا بالأبواءِ توُفِّيَت أُمُّه آمِنةُ بنتُ وهبٍ، ورَجَعَت به أُمُّ أيمنَ رَضي اللهُ عنها ، واسمُها بَرَكةُ بِنتُ ثَعلَبةَ بنِ حِصنٍ،

وكانت أمُّ أيمنَ رَضي اللهُ عنها تحبُّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حُبًّا شديدًا وتَعتني به غايةَ الاعتِناءِ، وتَحوطُه برِعايَتِها وشَفقَتِها.

رابعا- كفالة جدّه له:

مَّا تُوفِّيتِ السيِّدةُ آمنةُ رضي الله عنها صارت كَفالَتُه إلى جدِّه عبدِ المطلب، وكان عبدُ المطلب يُحِبُّ حفيدَه مُحمَّدًا حبًّا عظيمًا، ويُقدِّمُه على سائِرِ بنيه، ويَرِقُّ عليه أكثَرَ مِن رِقَّتِه على أولادِهِ؛

قال ابن هشام: كان يوضع لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالًا له، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر (ممتلئ قوي) حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا، فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

خامسا- كفالة عمّه له:

لمَّا بَلَغَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثَمانيَ سنواتٍ توُفِّي جدُّه عبد المطلب. وكان عبدُ المُطَّلِب لمَّا حَضَرته الوفاةُ أوصى ابنَه أبا طالبٍ بحِفظِ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم،

وحياطَتِه، والقيامِ عَليهِ، وسبب اختياره لهذه المهمة ؛ لأنَّ عبدَ الله ،والِدَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأبا طالبٍ كانا لأُمٍّ واحدةٍ،

رَوَى ابنُ سعدٍ، وابنُ عساكِرَ عن ابن عبَّاسٍ رَضي اللهُ عنهما، وغَيرِه، قالوا: لمَّا توُفِّيَ عبدُ المطلب قَبَضَ أبو طالبٍ رسولَ اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فكان يكونُ معه، وكان يُحِبُّه حبًّا شديدًا لا يُحِبُّ وَلَدَه مِثله، وكان لا يَنامُ إلَّا إلى جَنبِه، وكان يَخُصُّه بالطَّعامِ، وكان عيالُ أبي طالِبٍ إذا أكلوا جميعًا أو فُرادَى لم يَشبَعوا، وإذا أكَل معهم رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم شَبِعوا. وكان أبو طالِبٍ إذا أراد أن يُغدِّيَهم أو يُعشِّيَهم يقول: كما أنتُم حتى يَحضُرَ ابني.